

الحركة الفكرية

في الكويت نهضة فكرية وان تكن ابتدائية الا انها مباركة نبشر بخير عيم
رعاهها سمو الامير ويقبل عليها الشباب الجديد .

وفي الكويت قليل من العلماء والمتقنين لان النهضة حديثة العهد . والعلوم
المعروفة هي علوم الدين وما يتبعها من العلوم العربية من نحو ولفة وصرف وادب
وسيرة وتاريخ . . . يتدارسها طلبة العلم والعلماء في حلقات خاصة واشهر علماء
الكويت يوسف بن عيسى الجناعي .

وقد نشأت طبقة جديدة من الشباب المثقف ثقافة عصرية
الادب : اخذت تعني بالادب ومطالعة الكتب الحديثة . التي تصدر في
الوطن العربي وخاصة في سورية والعراق ومصر . وتدرس امهات كتب الادب
العربي القديم وتتصل بالحركة الفكرية في الاقطار الشقيقة بواسطة الصحف
والمجلات والروادي .

وتسكاد تنحصر الحركة الادبية في الكويت اليوم على « الديوانيات » اي
« الصالونات » حيث يجتمع بهض الادباء فيتدارسون كتب الادب ويتناشدون الشعر
ويعرض كل واحد ما انتجه فكره من نثر وما أملاه قلبه من شعر فيطير الى كل
مكان وتنشده كل شفة ولسان .

وقد نشأت هذه الديوانيات على انقاض « النادي الادبي » الذي كان موجوداً
منذ عدة سنوات وكانت تلقى فيه المحاضرات ويفوح منه الادب العطر . واشهر
هذه الديوانيات ديوانية الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي وتختص ديوانيته بالفتة
وعلوم الدين والعربية . وديوانية عبد الله ملا صالح رئيس الديوان الاميري وهو
رجل لطيف حسن الثقافة وتختص ديوانيته بالادب القديم وعلوم العربية . وديوانية
عبد الله زكريا الانصاري وهو شاب مهذب اديب له شعر ونثر . وديوانية خالد

المسلم وهو شاب مثقف درس في العراق وتخصص هاتان الديوانيتان بالادب الحديث وقلما يصدر كتاب ادبي في سورية او العراق او مصر الا ويكون لدى شبان هذه الديوانيات عنه خبر يقين .

وفي الكويت نهضة ادبية طيبة يقوم بها نفر من الادباء والشعراء المجيدين الذين لا يقلون في القيمة الادبية عن الادباء المتوسطين في سورية والعراق ومصر واشهرهم الاساتذة والسادة : خالد محمد الفرج ، وصقر سالم سبيب ، وعبد اللطيف ابراهيم نصف ، وفهد العسكري ، وحجي قاسم آل حجي ، واحمد بن خالد المشاري ، واحمد بشر الرومي ، وعبد الله زكريا الانصاري ؛ ولهؤلاء شعر عال ونثر راق .

وكانت تصدر في الكويت منذ بضع عشر عاماً مجلة اسمها « الكويت » وكان يحررها المرحوم عبد العزيز الرشيد صاحب كتاب « تاريخ الكويت » وكانت مسرحاً لأقلام الكتاب ولهجات الشعراء وافكار المصلحين .

وقد اقترحت على القوم انشاء مطبعة وجريدة ولعل ذلك يتحقق قريباً .

واليك على سبيل المثال بعض القطع الشعرية الجميلة لاشهر ادباء الكويت — مقتبسة من الجزء الاول من كتاب « تاريخ الكويت » للمرحوم عبد العزيز الرشيد طبع بغداد سنة ١٩٢٦ — :

نظم الشاعر المبدع عبد اللطيف بن ابراهيم آل نصف قصيدة ممتعة اهداها الى أسد الريف الامير عبد الكريم البطل المشهور ابان ثورته على الاسبان وانتصاره عليهم . وهي من عيون الشعر لا في الكويت فقط بل في الوطن العربي الاكبر بل هي قصيدة جديدة ان تعد من مفاخر الادب الحديث لروحها الوثابة ولهجتها الصادقة واسلوبها المتين . وانت اذا لم تقرأ اسم ناظمها حسبتها للشاعر السوري المشهور بدوي الجبل . قال من هذه القصيدة :

ارى الشرق بالاغلال يرسف باكياً على حين بات الغرب جذلان يسم
حنائكم يا ساسة الغرب حسبكم فيا طامها قد جرتم وظلمتم
مه لا تسومون الصغار فاننا ولا فخر من جربتم وخبرتم

ملكنا فواسيناكم بنفوسنا فهلا فعلتم مثل ذا اذا ملككم
تخلوا عن الريف المزي لا هله وعودوا الى اوطانكم فهو أسلم
حمى الريف ابطال المعامع عنكم وأسد جياع في الجبال تهمهم
ثم يشير الشاعر الى اشتراك الفرنسيين مع الاسبان في مقاتلة العرب المسلمين
ابطال الريف والمدافعين عن حياتهم وحقوقهم وحياتهم وعن عزة العروبة وكرامة
الاسلام وما لاقى الفرنسيون من اخواننا الاسود من أهوال قال :

فصبراً حماة السين صبراً على الردى ولا تجزعوا مما شربتم وذقم
ثم يلتفت الى المجاهد الكبير عبد الكريم فيخطبه بقوله :

طلعت فظنوا في ثيابك طارقاً وذكرتهم ايام طارق فيهم
صدمتهم وسط الملاحم صدمة فكم بعدها ثكلى ترن وترزم
قللة يوم منك قد شهد العدا حساماً جلالة الله لا يتلثم
ثم يصف إقرار الاسبان والفرنسيين ببطولته فيقول :

فقد علمت مدريد انك فاتح وقد شهدت باريس انك ضيفم
فضع فيهم السيف الذي انت حامل وعلمهم في الحرب ما لم يعلموا
تقدمت لا تثنيك عما ترومه مدافع يرتاع اردى حين تهزم
فرحى ليث العرب مرحى ومثلها ثلاث يؤديها اليراع المقوم
وانا حينما اقرأ هذه الايات الخالدات كقطع ادبية نزيهة والخالدات اكثر في
موضوع عن القومي السامي يخيّل لي ان قائلها لنس عبد اللطيف بل البحري في
سلسلة تركيبه وجمال تصويره ونبل مشاعره ، او المتنبي في ابائه وعلو نفسه ومثانة
شعره ، اولا يذكرك قوله :

طلعت فظنوا في ثيابك طارقاً . . . قول البحري يصف موكب المتوكل :
ذكروا بطلعتك النبي فهلوا لما خرجت من الصفوف وكبروا
ثم حين تصل الى قوله :

صدمتهم وسط الملاحم صدمة . . . الا تذكر قول المتنبي يصف
سيف الدولة منتصراً في المعركة :

نثرتهم فوق الاحيدب كلهم كما نثرت فوق العروس الدرام
ثم ما أشبه قوله :

تقدمت لا يثنيك عم ا ترومه مدافع يرتاع الردى حين تهزم
يقول البحترى يصف منازلة المتوكل للاسد :

حملت عليه السيف لا عزمك انثى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
والخلاصة فهذه القصيدة خالدة بحق للكويث ان تفاخر بها وبقاتلها :

وهناك الشاعر المجيد صقر بن سالم شبيب ؛ ويعمد شاعر الكويث وله شعر جيد
نقتطف منه هذه القطعة الجميلة التي يحض فيها قومه على الوئام والاتحاد قل :

أنعم في الكويث ونحن فيه عراق تحت سكين الجهالة

تفرقنا الجهالة حيث شاءت وتفعل ما تريد بنا البطالة

احذركم بني قومي انشعابا لهنك الشعب فيه شر آله

وهل شعب يذال بلا اتحاد لديه من تقدمه كماله

ففي حسن الوئام لنارقي لنور جبينه تنو الغزاه

وقد حث الاله على اتفاق تضيء دجى الخطوب له ذياه

ومن شعراء الكويث المجيد بن خالد محمد الفرج ، قال عن الحق والقوة يتبين

خالدين جميلين :

اما الحقوق فلا تنال بحجة الابحجة مدفع وقواضب

ومتى غدا طلابها مستضعفاً بسلاحه فالحق حق الناصب

وهناك الشاعر حجي بن قاسم آل حجي وهو رجل مجدد متحرر يكره الرياء

ويحارب العمام التي تخفي تحتها الجهل . يقول من قصيدة طويلة :

أضر بالناس قوم يدعون بالعلماء

تدرعوا بثياب ثياب أهل الرياء

سيكشف الصبح ما قد أخفيتم بالمساء

نحن الشباب رياح وأنتم كالهباء

تبارنا آخذ في تمزيقكم في الفضاء

ومن المعلوم ان الادب هو صورة الحياة الاجتماعية . وعلى ذلك نقول ان الكويتيين تنبهوا الى ان الدين ليس عمة وجبة ولحمة بل عقيدة وعمل واخلاص ومن اجل ما رأيت من شعر حجي مساجلة لطيفة بينه وبين السيد حسن النقيب وقد كتب حجي الاسطر الاولى فشطرها النقيب :

نسيم الصبح يشجيني	إذا هب واشجيه
ويقتلني ويصبيني	صدود منه يديه
ويوهمني ويغريني	بلفظ الدل والديه
ويطمعني ويسقيني	لذيد الحمر من فيه
اغزله فيقصيني	وعن الدل يثنيه
ويضعفني ويسبيني	فتور من مآقيه
اوصله فيجفوني	ويغضبني فأرضيه
غرام كاد يخفيني	عن العذال اخفيه

وهي قصيدة طويلة رشيدة جميلة وهي من ارق الغزل في الكويت ، وهي اذا كانت تدل على شاعرية حجي فهي تدل بالوقت نفسه على شاعرية النقيب حتى جاءت القصيدة محكمة كل الاحكام كأن قائلها شاعر واحد .

وهناك الشاعر احمد بن خالد المشاري وله شعر حسن ولهجة صادقة واخلاص في الطلب ، انظر الى قصيدته الطيبة التي يمدح فيها سمو الامير ، فهو لا يكتفي بمدح سموه فحسب وانما يقتنم الفرصة المطالبة بالاصلاح ، يصارح الامير بأمانى الشباب وآمال البلاد ، قال من قصيدة له :

فيا اميراً له في الفضل سابقة	اليك أرسل آمالا وأزجها
يا أحمد من سما في كل مكرمة	وكل محمداً في الفضل حادها
حاشا لمثلك أن يركن الى دعة	وغفلة عن نفوس أنت واليها
هذي رعاياك فوضى لا اجتماع لها	ولا سراة لها للرشد تهديها
فاجمع لها شتتاً وانهض بها امماً	فلقطة بانمطاف منك تحيها
هذي الشبية شبح الجمل يفزعها	وأنت مأمنها إذ انت حامها

هذب مداركها عضد مدارسها وارحم طفولتها إذ أنت راعيها
أكثر معارفها أبعد مشاغبها تقح معامدها واسمع شكوايها
هذا رجاها بكف من تضرعها فاعطف بفضلك وابلغها امانها
وهذه القصيدة صرخة من صرخات الاصلاح في الكويت ورجاء يقدمه الشباب
النير الى الامير المحبوب ، والشاعر هنا يصف امراض الكويت من جهل وتفرق
وفوضى ثم يطلب لها الاصلاح من الامير . وقد لبي سمو الامير الطلب ، وقام ببعض
الاصلاح .

ولا عيب في هذه القصيدة إلا تسكين (يركن) من الشطر الاول من البيت
الثالث وكان حقها النصب ولا يشفع بهذه الغلطة الامتانة الاسلوب ونبيل المعنى .
ولا ادري اذا كان المشاري في قصيدته هذه استهدف مدح الامير فجاءت
مطالبه عرضاً أم أنه استهدف الاصلاح وجاء المدح عرضاً ، على أنه وفق في
الترضين كل التوفيق .

وأجمل ما في القصيدة ، بل من ألطف ما قيل في مدح الامير قوله :
فلفته بانعطاف منك تحيها ... فما اعظم هذا الامير الذي يحيي امة
بعطف من جيده .

وإذا أردنا أن نعود الى الحب والغزل والى اشعار المشاق وقصائد المفرمين
ألفينا بين شعراء الكويت غزاليين بارعين وقصائد تذوب رقة ، ولا غرو فان أبرع
ما قيل وما يقال من الشعر هو ما كان في الغزل لان الحب هو اصدق العواطف
وأقواها وأساها .

والشاعر حينما يتغزل لا يريد جاهاً ولا مالا وإنما نظرة من العيون الساحرة
وابتسامة من الثغر المعطر .

وقد ذكرت لك قصيدة حجي البديعة ، والآن اعرض لك ابياتاً قليلة لطيفة
لمساعد بن عبد الله الرفاعي قال :

يا من شفاء سقامي شم رياها ومن مداми زلال من ثناياها
ومن هي الشمس وجهاً والجبين لها يحكي الهلال عين العين عيناها

الله يكلأ هيفاء بليت بها عشقاً وعين إله العرش ترعاها
 النفس طالبة وصل التي عشقت والعين راغبة رؤيا يحياها
 ساعدك الله يامساعد السقيم الذي يشفيك ثم ربا فتاتك ، وكان يقتضي أن
 تقول في الشطر الثاني من البيت الرابع « رؤية ، بدل رؤيا ، لان الرؤية للنظر
 والثانية للحلم وأنت رغم بلواك وسقمك تدعو الله ان يكلأ هيفاءك التي بليت به
 فهنيئاً لك هذا البلاء ، ويا ليت كل بلوى كبلواك وأنا بليت مثلك ايضاً وأدعو الله
 أن يحفظ لك هيفاءك وأن يحفظ لكل محب هيفاءه .

ولا أنسى في هذا الباب كبير ادباء الكويت الشيخ عبد الله السالم ولي المهدي ،
 وهو رجل عالم فاضل وأديب كبير له باع طويل في النقد والادب ، في الثمر والشعر
 كما لا أنسى من الادباء السيد عبد الحميد الصانع عضو مجلس المعارف .

وعلى الجملة ففي الكويت نهضة أدبية مباركة وشغراء مجيدون وحبذا لو تصدر
 في الكويت جريدة أو مجلة تكون مرآة لهذه الافكار الطيبة والادب الرفيع
 ومسرحاً لا قلام الادباء ولهجات الشعراء ومطالب المصلحين . وأنصح الكويتيين
 أن يطالعوا باستمرار المؤلفات والمجلات والجرائد السورية التي تعد مفخرة
 الفكر العربي .

النهضة الثقافية في الكويت سائرة الى الامام ولكن بخطى
المعارف : بطيئة . وقد شمرت الكويت منذ بضع سنوات بما للثقافة من
 أثر في تقدم البلاد فارادت أن تقوم بنهضة ثقافية فأوفدت بعثات من الطلاب الى
 العراق يدرسون في مدارسها وخاصة في دار المعلمين الربفية .

وقد حدثني بعض الاساتذة السوريين الذين كانوا يدرسون في العراق ان
 الطلبة الكويتيين كانوا يمتازون بالجد والذكاء والخلق .

وقد استقدمت الكويت بعثة من المعلمين من سورية الجنوبية — فلسطين —
 أدت للكويت خلال ثلاث سنوات خدمات جلى مشكورة ، ثم استقدمت بعثتين
 ثقافيتين من سورية ومصر . وأخيراً استقدمت بعثة مصرية .

والبرامج التدريسية في الكويت برامج عراقية وهي موافقة للكويت اكثر من

البرامج السورية والمصرية . وتكاد تنحصر نهضة الكويت بالمدارس . وفي المدينة اربع مدارس ابتدائية وواحدة متوسطة للبنين وثلاث مدارس ابتدائية للبنات تشرف عليها وتدرس فيها معلمات سوريات . وفي القرى الكبيرة مدارس اولية بسيطة .

ولا يزيد عدد التلامذة في الامارة كلها على الالفين أي بقدر طلاب مدرسة واحدة من مدارس دمشق . ومع ذلك فله معارف رئيس ومدير ومستشار ومفتشون ورؤساء تعليم ومديرون ومعلمون .

ويتألف مجلس المعارف من كبار القوم واعضاء طيبين ذوي خبرة على شؤون المعارف وعلى نهضة البلاد وعلى تنشئة الجيل الجديد . وهم وایم الحق مخلصون يعملون بنشاط وبدون مقابل لرفع المستوى الثقافي في الكويت وقد ساعدونا على أداء رسالتنا الثقافية ، وهؤلاء السادة هم :

الشيخ عبد الله الجابر الرئيس ، ونصف اليوسف ، وعبد الله الزيد ، وعبد الحميد الصانع ، ويوسف بن عيسى الجناعي ، وعبد المحسن الخرافي اعضاء .

والحقيقة ان هذا التعقيد في جهاز المعارف مما يعرقل تقدمها اذ لا لزوم لمفتشين بوجود مدير المعارف لقلة المدارس ، كما أنه يجب ان يؤلف مجلس فني للنظر في البرامج والدروس الخ... من المتخصصين في التربية والتعليم من كويتيين وغير كويتيين من العرب فقط تعرض مقرراته على رئيس المعارف للمصادقة عليها . ويجب ان تقتصر مهمة مجلس المعارف على الشؤون الادارية والمالية ، وعلى مراقبة الاتجاهات العامة . ويجب الغاء منصب المستشار الذي نشر مقالا في مجلة في البحرين — التي هو رئيس معارف فيها — قال فيها ان الغاية من التعليم هي اخراج موظفين ، وهذه هي الفكرة الاستعمارية التي كنا نحاربها نحن السوريين وكنا نصرح ونقول ونعمل باعتبار ان الغاية من التعليم هي انشاء جيل عربي جديد قوي في جسمه وفكره وعقيدته وخلقه جدير بأن يرجع المجد السالف ويحقق النهضة والوحدة والحرية والاستقلال لعموم اجزاء الوطن العربي

الاكبر ليحتل العرب مكانتهم العليا بين الامم . هذه غايتنا من التعليم يا حضرة المستشار . وقد كان هذا التباين في خططنا القومية التقدمية نحن السوريين وبين وجود المستشار الانكليزي وخطته سبباً من جملة الاسباب التي دعتنا الى رفض تجديد العقود مع حكومة الكويت والعودة الى سورية .

والكويت اليوم بعثت من عشرات الطلبة تدرس في العراق وسورية ومصر دراسة ثانوية وعالية . ويوجد في مدارس الحكومة السورية طالب واحد يدرس على نفقة وزارة الخارجية .

وهناك بضعة طلاب يدرسون على نفقتهم الخاصة في مدارس اهلية بدمشق وانني انصح الكويتيين ان يرسلوا ابناءهم الى مدارس الحكومة لانها اكثر نظاماً وعلماً وادباً ، والحل في الطلب بضرورة اخراج هؤلاء الطلاب الكويتيين من مدارس دمشق الاهلية لانهم سوف لا يستفيدون كما ينبغي ونخشى ان يكون وجودهم في هذه المدارس دعاية غير طيبة لسورية .

وجدير بالذكر ان هؤلاء التلامذة اتوا لسورية للدراسة بناء على اشارتنا وعلى الدعاية التي كنا نقوم بها للثقافة السورية في الكويت ونعتبر وجودهم في دمشق نجاحاً لرسالتنا . وهناك بعض الطلاب الكويتيين في بيروت يدرسون بالجامعة الاميركية . ولا بد لي من اعادة القول ان على الحكومة السورية ان تفتح مدارسها مجاناً امام التلامذة الكويتيين .

ذهبنا الى الكويت فماذا فعلنا ؟ ادخلنا التعديلات **السوريون في الكويت** : الا لزمه على البرامج واوجدنا نظاماً جديدة تناسب النهضة التي اردناها . وقمنا بالاصلاحات الواسعة وعيننا بالدرجة الاولى بالقرآن الكريم وبالدين ثم بالتاريخ والعربية والرياضة البدنية لاننا نريد جيلاً قوياً في جسمه وخلقه وفكره . واسسنا ملعباً رياضياً وانشأنا فرقاً للالعاب الاولمبية وكرة القدم وكرة السلة والكرة الطائرة وكرة الطاولة ونظمنا بين هذه الفرق مباريات عديدة وجعلنا الانتساب الى الفرق الرياضية اجبارياً حتى على اولاد الامراء . وقد رسب بعض الطلاب لعدم اتقانهم الرياضة . وانشأنا فرقاً كشفية واقمنا نخبات ونظمنا

للطلبة والرياضيين والكشافة رحلات وجولات واستعراضات ونجحات . واقمنا في نهاية العام مهرجاناً رياضياً كبيراً اشترك فيه خمسمائة تلميذ واجريت فيه المسابقات الرياضية والالعاب الاولمبية والتدريبات الاستعراضية والمارين السويدية واشتركت في المهرجان فرق الاشبال . وقد حضر هذا المهرجان الكبير الامراء وكبار القوم وآلاف الناس والمعتمد البريطاني ووزعت فيه جوائز قيمة ومدايا وأوسمة . كان هؤلاء المئات من التلامذة يسرون بانتظام بالاستعراض بألبستهم الرياضية البيضاء والسوداء تموج فوق رؤوسهم الاعلام البيضاء والحمر والخضراء والسوداء التي تشكل بمجموعها الراية العربية المفداة بين هتاف وتصفيق الجماهير .

وأقمنا في المدارس لجاناً عديدة لتنمية ملكات التلامذة وتوجيه استعداداتهم للخطابة والادب والرحلات والحفلات والشؤون الاسلامية والفنون الجميلة من تصوير وتمثيل وصناعة .

وقد اقامت لجان الادب والخطابة والشؤون الاسلامية عدة حفلات ومحاضرات ومباريات ناجحة القيت فيها خطب وقصائد وكلمات طيبة من المعلمين والتلامذة . واقامت لجان الفنون الجميلة معرضاً جميلاً للصناعات المدرسية زاره ايضاً الامراء والوجهاء وآلاف الناس والمعتمد البريطاني واءجبوا بما عرض فيه من مناصد ومكاتب وبروانات وصواني ومقاعد واطارات وعلب مجوهرات من الصدف وتحف من الصدف المنحوت المنقوش وصور متقنة وخرايط واعلام وطرائف لطيفة من مراكب وسفن صغيرة من الخشب والورق كانت غاية في الاتقان مع ازهار واثمار وورد ونقوش لطيفة مختلفة وكانت السفينة الجميلة التي صنعها التلميذ يوسف آل رومي والنقوش البديعة التي خطتها ريشته مشارع اجاب الزائرين . وأسسنا للتلامذة مجلة مدرسية يحررونها بانفسهم ، وقد بذلنا جهداً كبيراً لتأسيس ناد للمعارف وقد كلفت بوضع قانونه الاساسي ونظامه الداخلي وقد فعلت ولكنني غادرت الكويت قبل ان يظهر النادي الى الوجود .

واقامت لجان التمثيل عدة حفلات تمثيلية مدرسية ، وحفلة تمثيلية كبرى عامة في نهاية العام حضرها الامراء ووجوه القوم بالمئات وكانت في غاية الاتقان وموضع

التقدير . كما اقنا عدة حفلات عامة بمناسبة شتى كانت تزينها الاعلام العربية ،
ومما يجدر ذكره ان هذه الابحان والفرق ساعدت على انماء مواهب الطلاب وظهرت
فيهم ذكاء ومرونة وقابلية للانطباع .

اما فيما يتعلق بالدروس فقد اعطى التلامذة نتائج باهرة حقاً وكانوا يقبلون على
التعلم بشوق كبير وقد زاد عدد التلامذة ثمانين في المائة عن العام المنصرم وذلك
خلال عام واحد . وقد اوجدنا نظام المطالعة الاليامية الاختيارية فكان اقبال المعلمين
والتلامذة عليها عظيماً ، ولا شك انه كان لمساعدة المعلمين الكويتيين لنا في
اصلاحاتنا اثر طيب في الحصول على هذه النتائج الباهرة .

ومن الواجب علي ان اقول هنا ان المعلمين الكويتيين نشيطون اذ كياء يحبون
العمل ولا ينتقدون . وقد كانوا يتبرعون بالعمل عدة ساعات مجاناً علاوة على اوقات
الدوام الرسمي .

وهذه النتائج الطيبة لم تأت عبثاً لاننا كننا نعمل اضعاف ما يطلب منا . كننا
نعمل نحن السوريين عشر ساعات في اليوم واحياناً اكثر على حين اننا كننا مكلفين
بالعمل رسمياً خمس ساعات فقط . لقد أتينا الي الكويت جنوداً متطوعين مجاهدين
في سبيل النهضة ولم نكن مرتزقة . ونحن لم تجذبنا الدنانير القليلة التي كنا نتقاضها
والتي ما كانت تتناسب في شيء مع جهودنا التي لا تقدر بثمن . لقد جذبتنا العقيدة
والاخوة والواجب . وما كان يخفف عنا متاعبنا الا راحة ضمائرنا . لقد كنا دعاة
نهضة وفكرة لاموظفين ، نقوم بعملنا ليس كما أذاعته الحكومة ولكن كما يأمر
به الواجب .

ولاريب ان عطف الاخوان الكويتيين وخاصة سمو الامير ومجلس المعارف
والمعلمين الكويتيين وما وجدناه من آباء التلامذة ومن التلامذة أنفسهم من رغبة
في النهضة ، كل ذلك شجذ عزائنا وكان له اثر في التقدم الملموس الذي صارت
اليه معارف الكويت . ولا أدل على اشراج الكويتيين للنظم التي أوجدناها من
عبارات التقدير التي كننا نسمعها دوماً في كل مكان . وقد الفت من اكثرهم سماع
هذه الجملة . هؤلاء اولادك . طبق عليهم النظام . كما تريد . وكان بعضهم يقول لي :

« هم أولادك ولك ان تخوض في دمهم حتى الركب » ولم أسمع ذلك من العامة فقط بل من السيد نصف اليوسف عضو المعارف ومن الشيخ عبد الله الجابر رئيس المعارف . حفظ الله لسكم أولادكم ايها الكويتيون فما أردت الا تهذيبهم وتربيتهم . وكم كنت اضحك حينما أسمع ان التلامذة ابه ائي . وانا لم اتجاوز الثالثة والعشرين وحديث المهد جداً بالتلمذة وبين التلاميذ من هم في العشرين . كنت اضحك واقول بل هم اخواني .

ونحن السوريين لافضل لنا ولا فخر في ما قدمنا للكويت من خدمات لاننا كنا نقوم بالواجب لانريد جزاء ولا شكوراً . كما أن اخواتنا الملمات السوريات قمن بنهضة طيبة في التربية والتعليم وفي وضع نواة النهضة النسائية في مدارس البنات . وقد افردنا لهن جناحاً خاصاً من المعرض عرض فيه صناعاتهن وصناعات تلامذتهن من تطريز ووشى وتزيين على وجوه أسرة وشراشف واثواب نسائية غاية في الجمال والاتقان مما اشتهرت به الدمشقيات .

يا لله ! ما أنبل السوريين - والفلسطينيون منهم - هم في كل مكان دعاة النهضة والرقى ورسلا الخير والاخوة : وهم حينما ذهبوا يخدمون باخلاص وبكل قواهم ويتركون احسن الاثر واطيب سمعه . ليس في الكويت فقط بل في العراق ونجد واليمن والبحرين ومصر وفي كل مكان لانهم يمتازون بالمقيدة والجاد والاخلاص يا لله ما أنبل السوري . أنا ما كنت أدري انه نبيل ونشيط الا عندما غادرت سورية . كنت اسمع عن السوريين مدحاً عاطراً فكنت اعزو ذلك الى العصبية الوطنية . ولكن حينما بلوت السوريين خارج سورية عرفت اية ميزة يرتع بها السوري في الوطني والاخلاص والثقافة والخلق . انا لأقول ذلك مدحاً لنفسي وانما اعترافاً للسوريين بالفضل وكان كل الاخوان خيراً مني .

اقمت سنة في الكويت مع اخواني السوريين الذين ما كنت اعرفهم من قبل لسوء الحظ . وأيم الحق لقد كنت معجباً بهم غاية الاعجاب . لقد كانوا اخواناً ولنعم الاخوان . لقد خبرتهم بالسفر والمال والجوار فكانوا موضع اعجابي ويكفي ان

اذكر اقامتي مع صديقي الاستاذ كامل بنفسلي سنة كاملة في دار واحدة . يشهد الله مارأيت منه الا ما سرني .

ليس غريباً ان تسير الحياة على هذا المنوال من الوثام فيما لو كنا اخوة او اصدقاء قديماً ولكن الغريب انني ما تعرفت الى هذا الرجل المخلص الا في هذه الرحلة . خلق نبيل . سماحة وثقافة وجد . لقد ترك زوجته واطفاله في دمشق وترك وظيفته في مدرسة من أرقى مدارس دمشق لاتبعد عن داره اكثر من مائتي متر وهو من اقدر المعلمين لم يجاوز الثلاثين من العمر ؟ لماذا ؟ هل تظن ايها القاري ان ان الدنانير الثمانية عشر استهوته او استهوتني انا لمجاز في الحقوق الذي عرضت علي وظائف كبيرة منها القضاء فأبيتها ؟ هل تظن ان هذه الدنانير استهوتنا لنترك الاهل والوطن الى الصحراء ؟ لا وأيم الحق . ولكنه الواجب القومي . لم نسأل عن المال ولم نستفد مادياً وبكفي انا أدينا رساله بأمانة واخلاص .

واما صديقي الدكتور يحيى الحديدي فهو شاب شهم وطفي متحدث خفيف الروح حاضر النكتة متين العزم كريم وقد بالغ في اكرامنا . لقد كان لنا أخاً كبيراً . ولم تذهب تسميته عبثاً فهو حديدي الارادة . وكذلك الدكتور صلاح الدين ابو الذهب فهو شاب هاديء لين العريكة نشيط وكان لنا أخاً وفيماً . ولم تذهب تسميته عبثاً فأخلاقه من ذهب . كما ان صديقي الاستاذ كامل لم تذهب تسميته عبثاً لانه كامل [١] . كان من المستحيل ان يمر يوم دون ان نلتقي وغالباً ما نقضي الاماسي اللطيفة على سطح دارنا امام البحر نشرب الشاي ونقتنص النكات الحلوة التي يمتاز بها الحديدي وابنة سلي . وكانت دارنا خالية من النساء وكانت ناتئة في قلب البحر يحفها الماء من اطرافها الثلاثة وهي شبه منعزلة عن بقية

[١] كما ان الاستاذين حيدر مصطفى وعبد العزيز ملص كانا مثال الوفاء والخلق وقد توفي الاول نجاة في صيف سنة ١٩٤٣ . وأما الثاني فقد استشهد في حوادث دمشق ٢٩ ايار سنة ١٩٤٥ رحمهما الله تعالى .

البيوت يوصل اليها بطريق خاص مبني في البحر لذلك كنا نتمتع بكامل الحرية في الضحك والفناء .

رباه ! ما أجمل هاتيك الامسيات . لن نزول من مخيلتي ولن تمحي من فكري . وخاصة أمسيات الخريف . كنا نقعد جميعاً في الاصيل نتمتع بنظر الخليج الاخاذ، يبدو البحر في هذا الوقت أزرق صافي الزرقة حتى اذ مالت الشمس الى المغيب ارسلت على البحر عموداً من نور ولا يزال هذا العمود يكبر حتى يضحى البحر سبيكة من الفضة الذائبة بل قطعة من الماس المتعرج المتلاهيء يعشي الابصار حقيقة لا يجازأ . ثم تميل الشمس ويختفي نصفها خلف حُصل السحاب . وحينما لا يبقى بين الشمس وبين الغروب الا نصف ساعة تبدأ الالوان الجذابة في الغيوم وتتلون في كل دقيقة بألوان جديدة فبينما هي زرقاء اذا هي بنفسجية اذا هي وردية فحمراء فذهبية وبما ان حركة الغيوم لا تنقطع وبما ان ميلان اشمس لا يوقف كذلك لا تثبت الالوان على حال وكما تقدم الزمن دقائق أعطتك الغيوم والخليج الوانا ومناظر اكثر جمالا وروعة . كنا نتمدد لننظر الى هذه اللوحات الفنية الخلابة التي لم تصورها ريشة فنان وانما صورتها يد الله المبدعة . سبحانه ما اعجب صنعه . كنا نقعد على كراسي البحر لا نملك ونحن مأخوذون بهذا الحسن . الخليج محدود الجوانب تظهر من بعيد اطراف الجبال الصغيرة تحفيها الغيوم . والسما مشحونة بقطع السحاب من كل لون وشكل هنا قطعة حمراء قانية قربها هالة صفراء برتقالية تتبعها قطعة بنفسجية غامقة تنبعث منها اشعة الشمس البيضاء بشكل حزم مخروطية وهناك بقعة وردية فاتحة زينها زرقة صافية وهناك سبيكة من الذهب تحيط بها غيوم متهبة بلون النار تحصر بينها قطعة لا تعرف لونها بين احمر وبنفسجي ومذهب مخططة بألوان فاتنة كأنها ثوب من الحرير .

السما كلها تبدو بهذا الشكل وتغير فيغدو الاحمر مذهباً والفضي بنفسجياً . . . أجل السما كلها تبدو لوحة زيتية فتانة ؛ ولو وقف الجبال عند هذا الحد لما اجتذب قلوبنا ولكن هذه المشاهد والالوان التي نراها في السما كانت بنفسها تنعكس على صفحة الخليج فيغدو البحر قطعة فنية أروع وأجمل . الموج هادىء والريح ساكنة

والجو لطيف والبحر تارة قطعة من الذهب او النار وتارة بساط من البنفسج والورد بل هو يجمع كل هذه في آن واحد . ربه . ماهذا الجمال . لم أر أجمل من هذه المشاهد . وما كنا نتكلم الا بالاعجاب والتسبيح . وكان يزيد المنظر جمالا هذه السفن الشراعية التي تمخر البحر بهدوء وترتفع اشراعتها في السماء وكانت تعكس صورها في الماء فيبدو الشراع شراعتين والسفينة سفينتين وكأنما كل سفينة فراشة ملونة جناح في الهواء وجناح في الماء . نظل هكذا قاعدين ننظر باعجاب وسرور نحو ساعة الى أن تغيب الشمس وراء الافق وتأخذ الالوان بالاكمداد فينقلب الاصفر الى احمر والازرق الى بنفسجي والمذهب الى ناري ثم تكمد هذه الالوان ويكمد معها البحر فيكثر لون البنفسج ثم يصير ضارباً الى السواد ويحول البياض والفضي والمورد ثم الناري الاحمر حتى يقبل الليل ويحجبنا الظلام ويختفي البحر وتطلع النجوم . واذ ذاك يأتينا الخادم بالسراج او نتظر القمر حتى يطلع اذا كنا في موسم القمر .

لا تظن ايها القاريء الكريم ان هذه القطعة الفنية واللوحة التصويرية التي وصفتها لك هي من نسج خيال أديب او من تصورات شاعر وانما هي حقيقة واقعة ؟ وما كنت أحسب نفسي في هاتيك الامسيات الجميلة الا ملكا في السماء اوريشة في لوحة .

اما الليالي فكنا نقضيها اما في دار الدكتور الحديدي او في دار الدكتور ابو الذهب نسمع الرادي ونتذكر ايام دمشق ، وكنا في كل يوم جمعة على الغالب نذهب ممأً للترهة خارج المدينة في البر او في نزهة بحرية في الجالبوت او في رحلة بحرية قصيرة لصيد السمك . نذهب ونجذب بانفسنا وابو الذهب يدير الدفة وانا اضرب البحر بالمحذاف والبنقسلي يعاونني ويلقي النكات والحديدي يضحك ويقول : يا الله يا شباب . ثم نقف في عرض البحر ويأتي الفراش عبد المحسن فيصب لنا الشاي الساخن ثم نبدأ بصيد السمك ونقله بأرض الزورق ونحن مغمورون بالغبطة ونعود بعد الغروب الى الشاطيء .

هكذا كنا نحن السوريين فهل تعجب بعد ذلك اذا قلت ان السوريين

والعراقيين هم صفوة العرب !! وليس في الكويت من التجار السوريين الا واحد وهو الشاب الدمشقي النشيط السيد عبد الرزاق القدومي وهو موفق في عمله ولله الحمد . وفي الكويت ساعاتي ومصور سوربان ، ومطعم يقال انه سوري ولكنه لا يمت الى سورية بسبب . وحبذا لو يذهب اخواننا السوريون الى الكويت ليفتحوا فيها صالات للحلاقة الحديثة ومناهي ومطاعم وممايل للحلويات والسكاكر والمعجنات والمأككل الدمشقية المشهورة مما يلقى في الكويت اقبالا كبيراً وكذلك لا بأس ان يذهب بعض الخياطين والحذائين . . .

واقول بهذه المناسبة انه يجدر بالكويتيين ان يصطافوا في سورية - ولبنان جبل في سورية - فسورية جميلة وصحية وهادئة وعامرة . فيها غير الصحة والجمال فيها خلق واخوة وعروبة واسلام . ويجب ان لا يصطاف الكويتيون بيران التي لا تربطها بهم غير المطامع الاستعمارية . وعلى الحكومة السورية ان تسهل للكويتيين سبل الاصطياف ومعاملات السفر التي يشكون كثيرًا من صعوبتها .

وأخيراً اريد ان اقول ان مدارس الكويت اليوم أصبحت تشابه مدارس سورية والعراق من حيث النظام والدروس وبناء المدارس اجمالاً . وان كانت تنقصها بعض الادوات ووسائل الايضاح والثقافة الفنية عند المعلمين .

والكويت بحاجة الى اخصائيين وفنيين من اطباء ومهندسين ومعلمين وحقوقيين وسوف لا يمر إن شاء الله بضعة اعوام حتى نري بين الكويتيين ما ذكرت ، فكل من سار على الدرب وصل .

وإن لي ملء الثقة بسمو الامير بان يضاعف البعثات الزاهية للتعلم والدراسة والتخصص وان يوسع حركة المدارس . ولا شك ان هذه النهضة الثقافية مدبنة بوجودها الى سموه مما يسطره له التاريخ باحرف من نور .

وإنني ألفت نظر الاخوان الكويتيين وخاصة منهم التجار والاغنياء الى أن لا يطلبوا من الحكومة ان تفعل كل شيء ، بل عليهم ان يساهموا في نهضة البلاد بمساعدة المعارف مادياً ومعنوياً ، وهم لم يقصروا في ذلك . يجب ان يوفدوا بعثات ثقافية الى سورية والعراق ومصر تدرس ليس على نفقة الحكومة فقط بل على

نفقاتهم هم . عليهم أن يرسلوا أبناءهم وغير ابنائهم من التلامذة اللامعين الاذكياء ليدرسوا الطب والحقوق والهندسة والفقه والادب والتربية فالكويت اليوم ليست بحاجة الى تجار يتدر ما هي بحاجة الى مثقفين ورجال اختصاص . وأناضاً من بان الكويت إذا دسعت خطواتها في هذه النهضة الطيبة فسوف لا يأتي زمن طويل حتي تكون لؤلؤة الجزيرة العربية ومروس الخليج بلا منازع - من الناحية الادبية على الاقل - وأنا احب ان اري الكويت ترسل بعثات من عندها للصحة والتعليم الى نجد وقطر والبحرين وعمان . . .

وفي مدارس دمشق اليوم بضعة طلاب كويتيين . وأحب أن انصح القوم في الكويت بان لا يرسلوا أبناءهم الى المدارس الاهلية في سورية بل الى مدارس الحكومة لانها تمتاز على المدارس الاهلية بالعلم والخلق والنظام .